دلالة الحمل على المعني وأثرها البلاغي في القرآن الكريم

دراسة وصفية في السور المكية

إعداد الباحث/عِصام رزق سعيد محمود العرجاوي

مدرس مادة – كلية الآداب – جامعة دمنهور

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه البيان، والصلاة والسلام على البشير النذير المنزل عليه القرآن، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين الذين كانوا مشاعل هدى وترجمانًا للقرآن، وبعد:

فإن اللغة العربية منذ أن شرفها الله – سبحانه وتعالى – واصطفاها من بين سائر اللغات لتكون لغة للقرآن الكريم، حظيت بالحفظ إذ تعهد سبحانه بحفظ كتابه فيها **چگ ڳ ڱ گ گ گ گچ** [1]، فما أعظمها من لغة وسعت كلام المولى – عز وجل – إذ امتازت بالوفرة اللغوية وتنوع طرائق التعبير، فهى بما امتازت به تراعي مطابقة الكلام لمقتضى الحال، ومن ثم مراعاتها للموقف وحال المخاطب حيث تتيح للمتكلم أن يطيل في كلامه إذا اقتضى الكلام ذلك، ويلجأ إلى الاختصار إذا حتم الموقف عليه ذلك ما دام السامع يفهم دون لبس في مراد الكلام، كما تتيح للمتكلم حذف بعض أجزاء الكلام، والتقديم والتأخير بين كلمات السياق، وكذلك الحمل على المعنى وكل ذلك لا يأتي اعتباطًا إنما لغاية بلاغية يبتغيها المتكلم ويقتضيها المقام، لذا ألقيت الضوء في هذا البحث على دراسة **(دلالة الحمل على المعنى وأثرها البلاغي في القرآن الكريم)** مبينًا الغاية البلاغية التي يبتغيها المتكلم من وراء الحمل على المعنى، وذلك من خلال إيضاح الدلالة الناجمة عنه، ومن ثم الوقوف على مواطن الجمال في السياق اللغوي، واقتصرت الدراسة على السور المكية لاشتمالها على المواعظ والحث على الهداية، والزجر وإيضاح طرق الآخرة، فضلاً عن خشية الإطالة وتضخم حجم البحث.

الحمل على المعنى من الموضوعات الحيوية التي تناولها علماؤنا الكرام في مؤلفاتهم، وأولوه المزيد من اهتمامهم لما له من أهمية في البلاغة العربية بصفة عامة والبلاغة القرآنية بصفة خاصة، فهو فن من فنون القول، يهدى الذوقُ الأدبي السليم لدى منشئ الكلام إلى استخدامه استخدامًا بارعًا؛ أى: التفنن في استخدامه بغية تحقيق الفوائد الجمة في نفس المتلقي وفكره، فضلاً عما يحققه أيضًا من اقتصاد في القول وإيجاز في العبارة. سسس

<u>الحمل لغة واصطلاحًا:</u>

---

(1) الحجر: 9.

الحمل لغة: ذهب ابن فارس (ت: 395هـ) أن الحمل من مادة حمل على أن "الحاء والميم واللام أصل واحد يدل على إقلال الشيء. يقال حملت الشيء أحمله حملاً. والحمل: ما كان في بطن أو على رأس شجر. يقال امرأة حامل وحاملة. فمن قال حامل قال هذا نعت لا يكون إلا للإناث. ومن قال حاملة بناه على حملت فهى حاملة" [1]، وهو ما ذهب إليه الزمخشري (ت: 538هـ) في تعريفه للحمل إذ قال: "حمل: امرأة وشجرة ذات حمل. وعلى ظهره حمل. وامرأة حامل. وحملت الشيء، وحملنيه غيري فاحتملته وتحملته، وهذه جمال محملة. وحاملة الشيء" [2]، وهذا ليس ببعيد عما ذهب إليه ابن منظور (ت: 711هـ) إذ قال: "حمل الشيء يحمله حملاً وحملانا فهو محمول وحميل، واحتمله" [3]، وقال: "والحمل: ما حمل، والجمع أحمال، وحمله على الدابة يحمله حملاً. والحملان: ما يحمل عليه من الدواب في الهبة الخاصة"[4].

الحمل اصطلاحًا: تعددت تعريفاته لدى النحاة فقيل بأنه: "إعطاء الكلم حكم ما ثبت لغيرها من الكلم المخالفة لها في نوعها، ولكن توجد بينهما مشابهة من بعض الوجوه"[5]، فقيل: "حمل الشيء على الشيء الحقه به في حكمه، وحمل النظير على النظير عند النحاة اجراؤه مجرى نظيره باعتبار جامع بينهما" [6]، وعرفه ابن هشام (ت: 761هـ)، "هو أن يعطى حكم الشيء ما أشبهه في معناه أو في لفظه أو فيهما[7]، فهو "حمل لفظ على معنى آخر، أو تركيب على معنى تركيب آخر، لشبه بين اللفظين أو التركيبين في المعنى المجازي، فيأخذان حكمهما النحوي مع ضرورة وجود قرينة لفظية أو معنوية تدل على ملاحظة اللفظ أو التركيب الآخرين ويؤمن معهما اللبس" [8]، وعرفه تمام حسان بأنه تعدية الأحكام من المقيس عليه إلى المقيس [9]؛ أى: "قياس أمر على أمر وتحميل أحدهما حكم الآخر"[10]، فـ

1() معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1399ه – 1979م، مادة (ح م ل).

2() أساس البلاغة، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1419ه – 1998م، مادة (ح م ل).

3() لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، ترتيب وتحقيق: عبد الله على الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، كورنيش النيل – القاهرة.، مادة (ح م ل).

4() السابق، مادة (ح م ل).

5() القياس في اللغة العربية، محمد الخضر حسين، عنيت بنشره المطبعة السلفية ومكتبتها لصاحبهما محب الدين الخطيب، القاهرة 1353ه، صـــ 27.

6() انظر: محيط المحيط (قاموس مطول للغة العربية)، للمعلم بطرس البستاني، مكتبة لبنان – بيروت، 1987م، مادة (ح م ل) صـــ 195.

7() مغني اللبيب غن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري، تحقيق وشرح: د/ عبد اللطيف محمد الخطيب، السلسلة التراثية 21، 1421ه – 2000م، 627/6.

8() ظاهرة الحمل على المعنى في الدراسات النحوية، محمد أشرف مبروك إسماعيل المشد، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم – جامعة القاهرة، 1989م، صـــ 6.

9() انظر: الأصول دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب (النحو – فقه اللغة – البلاغة)، د/ تمام حسان، عالم الكتب – القاهرة، 1420ه – 2000م، صـــ 160.

10() معجم المصطلحات النحوية والصرفية، د/ محمد سمير نجيب اللبدي، مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان، دار الفرقان للنشر والتوزيع، 1405ه – 1985م، صـــ 67.

"الحمل طريق يسلكه النحاة، ويحيلون إليه الظاهرات الكلامية التي لا تنتظمها قواعد أصلية تنسب إليها" [1].

يلاحظ من التعريفات السابقة للحمل أنها متقاربة في معناها، فـ "حمل الشيء على الشيء: إلحاقه به في حكمه، أو هو نسبة أمر إلى آخر إيجابًا أو سلبًا، فإذا حكمنا بشيء على شيء، فقلنا مثلاً: إن الإنسان حيوان، فالمحكوم به يقال له: المحمول، والمحكوم عليه يقال له: الموضوع" [2].

أركان الحمل:

لما كان فهم الحمل يترتب على فهم العلة، إذ إن كل حمل يتضمن لونًا من ألوان العلة، كان لزامًا القيام بعرض أركان الحمل التي أشار إليها النحاة، وهي [3]:

1- **الأصل:** وهو المحمول عليه (المقيس عليه).
2- **الفرع:** وهو المحمول (المقيس).
3- **العلة:** وهي علاقة تلازمية تربط بين المحمول والمحمول عليه، والتي من خلالها يقاس أحدهما على الآخر[4]، علمًا بأن العلة النحوية يُراد بها "تفسير الظاهرة اللغوية، والنفوذ إلى ما وراءها، وشرح الأسباب التي جعلتها على ما هي عليه، وكثيرًا ما يتجاوز الأمر الحقائق اللغوية، ويصل إلى المحاكمة الذهنية الصرف"[5].
4- **الحكم:** وهو ما دأب عليه النحاة من القول بالوجوب أو المنع أو الجواز وغير ذلك من قولهم: حسن وقبيح وخلاف الأولى، فكل ظاهرة من ظواهر اللغة تخضع إلى حكم وضعه العلماء، فسواء أكانت الظاهرة اللغوية نحوية أم صرفية أم صوتية أم دلالية فإنها تُنسَب إلى مثال أو باب[6].

<u>الحمل على المعنى في العربية:</u>

الأصل في العربية أن يكون الكلام محمولاً على اللفظ، وهو الكثير الشائع، وقد يكون الكلام محمولاً على الموضع، أو على المعنى، فمع أن الأصل في الكلام هو مطابقة اللفظ للمعنى الذي وضع له إلا أنه قد عُدِل عن هذا الأصل إذ شاع الحمل على المعنى لدى

1() السابق: نفس الصفحة.

2() انظر: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، د/ جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت – لبنان، 1982م، 498/1.

3() انظر: الاقتراح في أصول النحو: العلامة الإمام جلال الدين السيوطي (ت: 911ه)، ضبطه وعلق عليه: عبد الحكيم عطية، وراجعه وقدم له: علاء الدين عطية، دار البيروني، الطبعة الثانية، 1427ه – 2006م، صـــ 81.

4() انظر: التعليل النحوي في الدرس اللغوي: خالد بن سليمان بن مهنا الكندي، دار المسيرة – عمان، 2007م، صـــ 78.

5() أصول النحو العربي، د/ محمد خير الحلواني، الناشر: الأطلسي – الرباط، 1983م، صـــ 108.

6() انظر: التعليل النحوي في الدرس اللغوي: خالد بن سليمان بن مهنا الكندي صـــ 78.

العرب، فهم يتركون ظاهر اللفظ ويحملون اللفظ على المعنى، وهو ما أشار إليه ابن جني (ت: 392هـ) إذ قال: "وقد شاع واتسع عنهم حمل ظاهر اللفظ على معقود المعنى، وترك الظاهر إليه، وذلك كتذكير المؤنث، وتأنيث المذكر، وإفراد الجماعة، وجمع المفرد، وهذا فاش عنهم" [1]، وهو ما عده الثعالبي (ت: 430هـ) من سنن العرب فقال: "من سنن العرب ترك حكم ظاهر اللفظ، وحمله على معناه. كما يقولون: ثلاثة أنفس، والنفس مؤنثة، وإنما حملوه على معنى الإنسان، أو معنى الشخص" [2]، فالحمل على المعنى باب واسع لا ينزف ولاينتهي، ولا ينقطع من كثرة[3]، فهو باب لطيف، دقيق المسلك، بعيد المذهب، يحتاج من متذوقي اللغة وناطقيها المعاودة ومزيد التأمل[4]، وهذا النوع من الحمل هو مناط دراستنا.

صور الحمل على المعنى:

لظاهرة الحمل على المعنى صورة متنوعة، إذ اعتبرها النحويون من أساليب تأويل النصوص المخالفة للقواعد المطردة في العربية، وورود هذه الصور في القرآن الكريم كثيرة ومتنوعة، نورد في هذا البحث لصورتين من صوره، مع إظهار الأثر الدلالي الناجم عن كل صورة منهما، وذلك على النحو التالي

<u>الصورة الأولى: الحمل على المعنى في العدد ودلالاته:</u>

كثر حديث النحاة عن الحمل على المعنى في العدد في مؤلفاتهم، وجاء على عدة صور، إذ إن العدد إما أن يكون مفردًا أو مثنى أو جمعًا، وقد يحمل أحدهم على معنى الآخر لدلالة ينشدها المتكلم من وراء هذا الحمل، ومثل هذا النوع من الحمل كثير شائع في العربية نعرض لصوره على النحو الآتي:

أولاً: حمل المفرد على معنى الجمع ودلالاته.

المفرد أصل للجمع، ووقوعه بمعنى الجمع كثير في العربية ؛ لدلالته على الجنس، فإذا وجد في الكلام ما يدل على أن المراد بالمفرد هو الجمع، جاز الإفراد، حيث يكون اللفظ لفظ الواحد، والمعنى معنى الجنس[5]، نحو قوله تعالى: **چ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک** ڑ

1() المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: على النجدي ناصف، ود/ عبد الفتاح إسماعيل شلبي، أعده للطبعة الثانية وقدم لها: محمد بشير الأدلبي، (د.ت)، 145/1.

2() فقه اللغة وأسرار العربية، للإمام أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، ضبطه وعلق حواشيه وقدم له ووضع فهارسه: د/ ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، الطبعة الثانية، 1420ه – 2000م، صـــ 367.

3() انظر: الخصائص: **أبو الفتح عثمان** ابن جني، **تحقيق: محمد على النجار، دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية، 1372ه – 1952م**، 435/2.

4() انظر: الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ضياء الدين نصر الله بن أبي الكرم محمد ابن الأثير الجزري، تحقيق: د/ مصطفى جواد، ود/ سعيد جميل، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1956م، صـــ 106.

5() انظر: المحتسب: ابن جني 202/1.

ۇ ۆ ۈ ۈ ۉ ۉ ې ې ۅ ۅ ۋ ۋ ى ى ئا ئا ئه ئه ئو ئو چ[1]، قال أبو حيان (ت: 745هـ): "وأفرد (ۇ) اكتفاء باسم الجنس"[2]، فقد حُمِل المفرد (ى) على معنى الجمع؛ أى: كتبنا[3].

فمجيء المفرد بمعنى الجمع كثير في العربية، قال ابن جني (ت: 392هـ): "ووقوع الواحد موقع الجماعة فاشٍ في العربية. قال الله تعالى: چ ۓ ۓ چ[4]؛ أى: أطفالاً، فقد "أُفرِد چ ۓ چ؛ لأن المقصود به الجنس فهو بمنزلة الجمع" [5]، فحسن لفظ الواحد هنا شيء آخر، وذلك أنه موضع إضعاف للعباد وإقلال لهم، فكان لفظ الواحد لقلته أشبه بالموضع من لفظ الجماعة؛ لأن الجماعة على كل حال أقوى من الواحد، فاعرف ذلك" [6]، فحمل المفرد على معنى الجمع كثير في العربية بصة عامة وفي القرآن الكريم بصفة خاصة، نعرض لبعضها على النحو التالي.

- ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ ڇ ڇ چ **الزمر: ٢٣**

في الآية القرآنية الكريمة حمل المفرد على معنى الجمع، فقد وصف الواحد بالجمع في قوله تعالى: (ڤ ڤ ڦ) فلم يقل: (مثنى)، وقال (ڦ) حملا على المعنى؛ لأن هذا الكتاب (القرآن الكريم) "جملة ذات تفاصيل، وتفاصيل الشيء هى جملته لا غير" [7] فقوله (ڦ) نعت ثان لـ (ڤ) [8]، وقيل بأنه صفة لموصوف محذوف، والتقدير: كتابًا متشابهًا فصولاً مثاني[9]، وأجاز الزمخشري (ت: 538هـ) أن يكون منصوبًا على التمييز من قوله (ڤ) [10]، وقيل: حال من (ڦ ڦ) [11].

1() الجاثية: 28-29.

2() تفسير البحر المحيط: لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ/ علي محمد معوض، وشارك في تحقيقه: د/ زكريا عبد المجيد النوتي، ود/ أحمد النجولي، وقرظه: أ.د/ عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1413ه – 1993م، 51/8.

3() انظر: المحتسب: ابن جني 202/1.

4() الحج: 5.

5() وانظر: تفسير التحرير والتنوير، لسماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر - تونس. 1984م، 200/17.

6() المحتسب: ابن جني 202/1.

7() انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للعلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق وتعليق ودراسة: الشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ/ على محمد معوض، وشارك في تحقيقه: أ.د/ فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، مكتبة العبيكان، الرياض – السعودية، 1418ه – 1998م، 300/5، وتفسير البحر المحيط: ابو حيان 406/7.

8() انظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف ابن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: د. محمد أحمد الخراط، دار القلم – دمشق (د.ت)، 422/9.

9() انظر: تفسير البحر المحيط: أبو حيان 406/7، والكشاف: الزمخشري 300/5.

10() انظر: الكشاف: الزمخشري 300/5، والدر المصون: السمين الحلبي 422/9،

11() انظر: الدر المصون: السمين الحلبي 422/9.

وردت الآية القرآنية في سياق المدح والتعظيم للكتاب العزيز، فهو الكتاب المعجز في لفه ومعناه بما فيه من آيات وسور، ووعد ووعيد، ومواعظ وعبر، وأحكام وأقاصيص، فبعضه متشابه؛ أى: يشبه بعضه بعضًا، وبعضه مثاني؛ أى: يرد بعضه على بعض بذكر الشيء وضده، كذكر المؤمنين وما أعد لهم من نعيم، والكافرين وما أعد لهم من جحيم وعذاب أليم كما في قوله تعالى: ﴿ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ﴾[1]، فهذا الكتاب إذا ما تليت آياته بما فيها من وعد ووعيد وسمعها المؤمنون عرتهم الخشية وانقبضت جلودهم نظرًا لإفراط خشيتهم، حتى إذا ما ذكرت آيات الرحمة والمغفرة فرحوا واستبشروا، ولانت جلودهم، أما الكافرون فإنهم يلغون عند سماعها متشاغلين عنها بأصوات القينات، وما هى إلا إرادة الواحد القهار بهداية من يشاء وضلالة من يشاء[2].

حُمِل المفرد على معنى الجمع لإفادة التعظيم والتفخيم لكتاب الله بكونه جملة ذات تفاصيل، والدليل على تعظيمه ابتداء الآية بلفظ الجلالة (ﷲ)، فضلاً عما أفادة من دلالة الامتنان على الأمة، حيث جاءت أغراض هذا الكتاب مكررة لتكون أرسخ في نفوس هذه الأمة، كما أفاد التنبيه على ناحية من نواحي إعجاز هذا الكتاب الكريم، وهى عدم الشعور بالسأم من سماعه مهما كُرِرت أغراضه، وأنها مهما كُرِرت زادته حلاوة وطلاوة وقبولاً في نفوس سامعيه[3].

ثانيًا: حمل المثنى على معنى المفرد ودلالاته.

إن حمل المثنى على معنى المفرد كثير شائع في العربية نثرها وشعرها، فقد يقع المثنى بمعنى المفرد، حيث يكون الواحد بلفظ المثنى، وأكثر ما يكون ذلك في البقاع والأماكن، وهو ما أشار إليه المبرد (ت: 285هـ) في باب سماه (تثنية الأسماء التي هى أعلام خاصة) معللاً وقوع المثنى موقع المفرد في البقاع والأماكن بقوله: "وجاز هذا في الأماكن لأنك تومىء إليها إيماءً واحدًا، ولأن كل واحد منهما لا يفارق صاحبه، ولا يكون مثل هذا الأناسي؛ لأن الواحد يفارق صاحبه، فتخبر عنه على حياله، ويزول ويتصرف"[4]، بينما علل السهيلي (ت: 581هـ) تثنية البقاع والأماكن فقال: "وإنما تقصد العرب في هذا الإشارة إلى جانبي كل بلدة، أو الإشارة إلى أعلى البلدة وأسفلها، فيجعلونها اثنين على هذا

1() انظر: الانفطار: 13-14.

2() انظر: تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض – السعودية، الطبعة الثانية، 1420ه – 1999م، 94/7،

3() انظر: تفسير التحرير والتنوير: ابن عاشور 387/23.

4() المقتضب: المبرد 324/4.

المغزى"[1]، ومثل هذا النوع من الحمل قد ورد كثيرًا في كلام العرب نثرها وشعرها، فقد ورد حمل المثنى على معنى المفرد كثيرًا في القرآن الكريم.

- ٹ ڈ ڇ ﮊ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ڇسبأ: ١٥

في الآية القرآنية حمل المثنى على معنى المفرد، ففي قوله (ﭙ) ثلاثة أوجه[2]، أولها: أنه بدل من (ﭗ)، وثانيها: أنه خبر لمبتدأ مضمر، والتقدير: الآية جنتان، وثالثها: أنه مبتدأ والخبر (ﭙ ﭚ ﭛ)، ورد أبوحيان (ت: 745هـ) الوجه الثالث؛ "لأنه لا مسوغ للابتداء بها إلا إن اعتقد أن ثمة صفة محذوفة؛ أي: جنتان لهم، أو عظيمتان لهم عن يمين وشمال، وعلى تقدير ذلك يبقى الكلام مفلتًا مما قبله"[3].

ولعل القول بإعرابه بدلاً يرجع إلى أن الوجه الثاني قائم على التقدير، والقول بعدم التقدير أولى من التقدير، فقوله (ﭙ) بدل من (ﭗ)؛ لأن هذا المفرد يصدق على هذا المثنى (ﭙ)، لذلك أبدل مثنى من مفرد[4]، فالآية والعبرة هنا ليست في الجنتين أنفسهما، وإنما الآية والعبرة في قصة سبأ وأهلها؛ لأنهم لما أعرضوا عن شكر الله، وجحدوا فضله، وكفروا بأنعمه عليهم، أبدلهم عن الجنتين الخمط والأثل لعلهم يتعظون ويدركون الصواب فلا يعودوا إلى كفرهم وما كانوا عليه من غمط النعم[5].

يرى الباحث أن المثنى حمل على معنى المفرد إظهارًا لقدرة الله على كل شيء، وإحسانه، ومن ثم وجوب شكره على نعمه.

ثالثًا: حمل المثنى على معنى الجمع ودلالاته.

الأصل في الكلام أن يكون المثنى للمثنى، والجمع للجمع، فالأصل في المثنى أن يدل على اثنين حقيقة، ولكن قد يخرج الكلام عن الأصل ويأتي المثنى ويراد به الجمع حملاً على المعنى، وذلك بأن يكون ظاهر اللفظ التثنية ومعناه الجمع، ولا يكون الخروج عن الأصل جزافًا، وإنما لغاية بلاغية ينشدها منشئ الكلام من وراء ذلك.

إن حمل المثنى على معنى الجمع كثير في العربية، فـ "ربما ذهبت العرب بالاثنين إلى الجمع كما يُذهَب بالواحد إلى الجمع"[6]، وحمل المثنى على معنى الجمع لا يكون إذا كان المقصود بالاثنين التثنية، وإنما يكون إذا دلا على العموم؛ أي: يكون تحته أفراد

1() الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب الحديثة، دار النصر للطباعة، القاهرة، (د.ت)، 253/2.

2() انظر: الدر المصون: السمين الحلبي 170/9، وتفسير البحر المحيط: أبو حيان 259/7.

3() انظر: تفسير البحر المحيط: أبو حيان 259/7.

4() انظر: الدر المصون: السمين الحلبي 170/9.

5() انظر: الكشاف: الزمخشري 115/5.

6() معاني القرآن، لأبي زكريا يحي بن زياد الفراء، تحقيق: محمد علي النجار، وأحمد يوسف نجاتي، عالم الكتب، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة، 1403ه – 1983م، 391/2.

كثيرون، وهو ما ذهب إليه الفراء (ت: 207هـ) إذ قال: "وإذا كان الاثنان غير مصمود لهما ذهبا مذهب الجمع تقول في الكلام:ما جعل الله المسلم كالكافر، فلا تسوينَّ بينهم، وبينهما، وكل صواب"[1]، فالعرب تأتي باللفظ ظاهره التثنية وتريد به الجمع مع وجود قرينة تدل على ذلك، فضلاً عن أنها إذا أرادت التثنية ثنت الشيء المطلوب، فالمثنى لا يدل على الجمع، وإنما يدل على العدد المحدد باثنين، ومن ثم "إذا ثُنى الاسم، فلا يؤدي عن الجنس، ولا يؤدي إلا عن اثنين بأعيانهما دون الجميع ودون غيرهما"[2]، وذلك بخلاف الجمع لأنها إذا أرادت الجمع أفردت اللفظ؛ "لأن الواحد قد يكون في معنى الجمع، ولا يكون في معنى اثنين؛ ألا ترى أنك تقول: كم عندك من درهم ودراهم، ولا يجوز: كم عندك من درهمين، فلذلك كثرت التثنية ولم يجمع" [3].

- ٹ ڈ ڇ و ۇ ۇ ى ې پ پ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ **فصلت: ١١**

هذه الآية القرآنية الكريمة حمل فيها المثنى على معنى الجمع، حيث جاء الحال من ضمير المثنى في (**ئا**) – ودليل تثنيته الضمير في قوله (**ئو**)، فمرجعهما هو (**ى**) و(**ـد**)– جمع مذكر سالم، وهو قوله: (**ئۇ**) حملاً على المعنى، فلو جيء به على اللفظ، لقيل: (طائعتين) [4]. قال ابن الشجري (ت: 542هـ): "فالسماء والأرض ههنا تجريان مجرى الفرقتين، أو الفريقين، تقول: الفرقتان قالتا، والفريقان قالا، ولو قلت الفرقان قالوا، كان حسنًا، كما قال تعالى: **چ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ چ** [5]، وجاء قوله: (**ئۇ**) جمعًا منصوبًا على الحال من السماء والأرض حملاً على المعنى، كما تقول: جاء الفريقان متسلحين، وجاء الجيش متفرقين"[6]، وقيل بأنه جاء جمعًا لاشتمال لفظ السماء على سبع سماوات[7].

وعن مجيء الحال (**ئۇ**) جمع مذكر سالم، وليس جمع مؤنث سالم (طائعات)، فذلك لأنهما – السماء والأرض – ليس لهما تأنيث حقيقي[8]، كما أنه لو جيء به مؤنثًا لكان

1() السابق 332/2.

2() انظر: تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، 1422ه – 2001م، 557/8.

3() معاني القرآن: الفراء 54/2-55.

4() انظر: الكشاف: الزمخشري 371/5، وتفسير البحر المحيط: أبو حيان 466/7.

5() الحجرات: 9.

6() أمالي ابن الشجري، هبة الله بن علي محمد بن حمزة الحسني العلوي، تحقيق ودراسة: د/ محمود محمد الطناحي، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، مطبعة المدني – المؤسسة السعودية بمصر، 1413ه – 1992م، 48/2-49.

7() انظر: تفسير التحرير والتنوير: ابن عاشور 248/24.

8() انظر: ال**سابق** 248/24.

حملاً على المعنى كذلك[1]، ولكن عن مجيئه مجيء جمع الذكور قال السمين الحلبي (ت: 756هـ): "قوله (ئۇ) في مجيئه مجيء جمع المذكرين العقلاء وجهان، أحدهما: أن المراد: أتيا بمن فيهما من العقلاء وغيرهم، فلذلك غلَّب العقلاء على غيرهم، وهو رأى الكسائي. والثاني: أنه لما عاملهما معاملة العقلاء في الإخبار عنهما والأمر لهما جمعا كجمعهم، كقوله: چ ئو ئو ئۇ چ[2] "[3].

يرى الباحث أن حمل المثنى المؤنث على معنى الجمع المذكر جاء تصويرًا لقدرته سبحانه وتعالى ونفوذها في المقدورات جللها ودقيقها، وذلك ياستجابة السماء والأرض وما فيهما – عاقل وغير عاقل – لأمر الله، فالكل من ملائكة وإنس وجن وغيرهم مما خُلِق مطيع لله، وخاضع لأمره وقدرته، فالأمر هنا إظهار قدرة لا إثبات طوع وكره للسماء والأرض، فامتناعهما عن الاستجابة والخضوع لله الواحد القهار، وتأثير قدرته أمر محال[4].

رابعًا: حمل الجمع على معنى المثنى ودلالاته.

الأصل في الكلام أن يكون الجمع للجمع، والمثنى للمثنى، ولكن قد يخرج الكلام عن الأصل ويأتي الجمع ويراد به المثنى حملاً على المعنى، ولا يكون الخروج عن الأصل جزافًا أو اعتباطًا، وإنما لغاية بلاغية ينشدحا منشئ الكلام من وراء ذلك، وحمل الجمع على معنى المثنى كثير في العربية نثرها وشعرها.

قبل الشروع في الحديث عن ذلك حمل الجمع على معنى المثنى نشير إلى ما بين التثنية والجمع من تقارب، فقد ذهب كثير من النحاة القدامى والمحدثين إلى أن المثنى جمع، قال سيبويه (ت: 180هـ): "وسألت الخليل عن: ما أحسن وجوههما؟ فقال:لأن الاثنين جميع، وهذا بمنزلة قول الاثنين: نحن فعلنا ذاك"[5]، وتابعه في ذلك المبرد (ت: 285هـ) حيث ذهب إلى أن الأصل في التثنية هو الجمع إذ قال: "ولو أراد مريد في التثنية ما يريده في الجمع لجاز ذلك في الشعر؛ لأنه كان الأصل؛ لأن التثنية جمع. وإنما معنى قولك: جمع: أنه ضم شيء إلى شيء"[6]، واستدلوا على ذلك بعود ضمير الجمع إلى الاثنين، نحو قوله تعالى: چ ڳ ڳ ڳ ڳ ں ںڻ چ[7] فضمير الجمع واو الجماعة في قوله: (ڳ)

1() انظر: الكشاف: الزمخشري 371/5، وتفسير البحر المحيط: أبو حيان 466/7.

2() يوسف: 4.

3() الدر المصون: السمين الحلبي 512/9.

4() انظر: الكشاف: الزمخشري 371/5، وتفسير البحر المحيط: أبو حيان 466/7، وتفسير القرآن العظيم: ابن كثير 167/7، وتفسير التحرير والتنوير: ابن عاشور 247/24.

5() انظر: الكتاب (كتاب سيبويه)، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت: 180ه)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة، الطبعة الثالثة، 1408ه – 1988م، 48/2.

6() المقتضب: المبرد 153/2.

7() الحجرات: 9.

يعود على الاثنين وهو قوله تعالى: (ﮘ)، فقد عُبِّر عن الاثنين بالجمع باعتبار المعنى، إذ إن كل طائفة جمع[1]، ويرى الباحث أن الجمع والتثنية وإن تقاربا في المعنى، واشتركا في ضمير إلا أنهما ليس مترادفان، إذ إن لكل منهما وظيفته التي يختص بها دون غيره، فلا يمكن أن نقول: (ﮘ) جمع، و(ﮜ) مثنى، فلكل منهما صيغته التي تدل عليه، فضلاً عن أن الجمع أعم من التثنية وأشمل، فالمثنى لا يشمل الجمع، فحمل الجمع على معنى المثنى ورد كثيرًا في القرآن الكريم.

- ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊﭼ الصافات:115- ١١٦

في الآية القرآنية الكريمة حمل الجمع على معنى المثنى، فقد جاء الضمير في قوله (ﮜ) و(ﮞ) و(ﮟ) جمعًا، وقيل بأن ضمير الجمع هنا يعود على موسى وهارون (عليهما السلام) ومن معهما من قومهما، وقيل بأنه يعود على موسى وهارون وحدهما بلفظ الجمع تعظيمًا لهما[2].

وردت الآيات القرآنية في سياق الفضل والمنّ على موسى وهارون (عليهما السلام)، فقد نجاهما الله ومن معهما من قومهما من الغرق، وجعل لهم الغلبة على فرعون وجنوده، وخلصهم من بطشه، ومما كان يعتمده فرعون وجنوده في حقهم من إساءة، فقد كان يقتل أبناءهم ويستحي نساءهم إلى أن أغرقه الله ومن معه في اليم لتكون النصرة لموسى وهارون (عليهما السلام) ومن معهما [3]، فالآيات هنا بصدد الحديث عن موسى وأخيه هارون (عليهما السلام)، ولكن الضمير في (ﮜ) جاء جمعًا، حيث أريد بالجمع المثنى في الشيئين المنفصلين؛ أي: لهما ولأتباعهما من قومهما، قال الفراء (ت: 207هـ): "وهذا من سعة العربية: أن يذهب بالرئيس: النبي والأمير وشبهه إلى الجمع؛ لجنوده وأتباعه، وإلى التوحيد؛ لأنه واحد في الأصل"[4].

أفاد حمل الجمع على معنى المثنى التعظيم؛ أي: تعظيم الله لموسى وهارون (عليهما السلام) بدفع الكرب العظيم عنهما، وإنجائهما وقومهما كرامة لهما ولقومهما بسببهما [5].

الصورة الثانية: الحمل على المعنى في النوع ودلالاته.

1() انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي: ناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي، إعداد وتقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان. (د.ت)، 135/5.

2() انظر: تفسير البحر المحيط: أبو حيان 357/7، والدر المصون: السمين الحلبي 325/9-326.

3() انظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير 36/7.

4() معاني القرآن: الفراء 390/2-391.

5() انظر: تفسير التحرير والتنوير: ابن عاشور 163/23.

ينقسم الاسم في العربية من حيث النوع إلى مذكر ومؤنث، ومع أن التذكير هو الأصل، والتأنيث هو الفرع، إلا أنه قد يتم في الكلام حملاً على المعنى تذكير المؤنث، وتأنيث المذكر، شريطة:

1- ألا يكون ذلك الحمل إلا في الأسماء المجازية حيث يكون لها معنى ثان فيتم الحمل على ذلك المعنى، أما الأسماء الحقيقية فلا يجوز الحمل على المعنى فيها؛ لأنها ليس لها إلا معنى واحد فقط؛ أى: ليس لها معنى ثان فتحمل عليه[1]، قال ابن رشيق القيرواني: "ولا يجوز أن تؤنث مذكرًا على الحقيقة من الحيوان، ولا أن تذكر مؤنثًا" [2].

2- ألا يكون ذلك الحمل في الاسماء ذات اللغتين؛ لأنه لا يجوز الحمل على المعنى إذا كان الاسم مما يذكر ويؤنث؛ أى: فيه لغتان: التذكير والتأنيث، وهو ما ذهب إليه أبو البركات الأنباري (ت: 577هـ) إذ قال: "وزعم بعض النحويين أن (النفس) تذكر وتؤنث، فلا يكون الكلام محمولاً على المعنى"[3]، ومع ذلك من النحاة من قام بالحمل على المعنى في الكلمات ذات اللغتين ككلمتى نفس وشخص، فالحمل على المعنى بالنسبة للكلمة التي تستعمل للتذكير والتأنيث موضع خلاف بين النحاة، فمنهم من يجيزه، ومنهم من يمنعه.

إن الحمل على المعنى في النوع (الجنس) كثير شائع في العربية، يعمد إليه المتكلم لدلالة ينشدها من وراء كلامه، نعرض له على النحو الآتي:

أولاً: حمل المؤنث على معنى المذكر ودلالاته.

حمل المؤنث على معنى المذكر كثير شائع في العربية؛ لأنه رد الفرع إلى الأصل، وهو ما ذهب إليه ابن جني إذ قال: "وتذكير المؤنث واسع جدًا؛ لأنه رد فرع إلى أصل" [4]، فقد ورد تذكير المؤنث في العربية شعرها ونثرها، فقد جاء في الحديث الشريف: "**فجعلن ينزعن حليهن وقلائدهن وقرطتهن وخواتيمهن يقذفن به في ثوب بلال يتصدقن به**" [5]، فذكر الضمير في (به) حيث حمل كل ما ذكر قبله على معنى المال أو الحلي، وهذا

1() انظر: الحمل على المعنى في العربية، د/ علي عبد الله حسين العنبكي، ديوان الوقف السني - مركز البحوث والدراسات الإسلامية، بغداد – العراق، 1433ه – 2012م، صـــــ 204.

2() العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، الحسن ابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشروالتوزيع والطباعة، بيروت – لبنان، الطبعة الرابعة، 1972م، 279/2.

3() البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث، لأبي البركات بن الأنباري، حققه وقدم له وعلق عليه: د/ رمضان عبد التواب، وزارة الثقافة بمصر (مركز تحقيق التراث)، مطبعة دار الكتب، 1970م، صـــــ 65.

4() الخصائص: ابن جني 415/2.

5() انظر: المسند، للإمام أحمد بن محمد بن حنبل، شرحه وصنع فهارسه: أحمد محمد شاكر، دار الجديث – القاهرة، 1416ه – 1995م، 442/11، مسند جابر بن عبد الله (رضي الله عنه)، حديث رقم: 14357.

الضرب من الحمل على المعنى فاش في العربية بصفة عامة، وفي القرآن الكريم بصفة خاصة، إذ إنه ورد في غير موضع من القرآن الكريم.

- ٹ ڈ چ ڈ ڎ ڏ ڐ ڑ ڒ ڗ ڒ ۆ ۈ ۇ ۆ ۈ ۋ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ چ فاطر: ٢

هذه الآية حمل فيها المؤنث على معنى المذكر، فالضمير في قوله: (ۆ ۈ ۈ) عائد على الاسم المتضمن معنى الشرط (ۇ)، وأنث حملاً على المعنى؛ لأن المراد به الرحمة[1].

حمل في قوله: (ۆ ۈ ۈ) على المعنى، وفي قوله (ې ى ى) على اللفظ مع أن الضمير فيهما عائد على (ۇ)، إلا أنه أنث في قوله (ۆ ۈ ۈ) حملاً على المعنى، إذ إن المراد به الرحمة، لذا حسن اتباع الضمير في (ۈ) لهذا التفسير، وذكر في قوله (ې ى ى) حملاً على اللفظ؛ لان اللفظ المرجوع إليه وهو (ۇ) ترك على التذكير، فلا علامة تأنيث فيه، كما أنه لم يفسر، ويحتمل أن يكون تفسيره مثل التفسير في قوله (ۆ ۈ ۈ)، ولكنه تُرِك لدلالة ما قبله عليه[2]، وهناك من قرأ [3] (فلا مرسل لها) بتأنيث الضمير وعوده على (ۇ) حملاً على المعنى بعد تمام الكلام؛ تقوية لجانب المعنى.

يرى الباحث أن حمل المؤنث على معنى المذكر جاء إظهارًا لرحمة الله الواسعة بعباده وقدرته التامة على كل شيء، فالآية القرآنية بصدد الحديث عن قدرة الله التامة، فهو وحده القادر على كل شيء، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، فهو الواهب المانح ، وهو المانع الممسك كذلك، فلا أحد ممسك لما أعطى، ولا أحد مرسل لما منع[4]، فقد روى عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه إذا انصرف من الصلاة قال: **(لا إله إلا الله وحده لا شريك له، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد)** [5]، وهو القائل سبحانه: **چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ چ**[6]، فقد جاء التفسير في قوله: (ۆ ۈ ۈ)، وترك في قوله (ې ى ى)؛ إظهارًا لرحمة الله بعباده، إذ سبقت رحمته غضبه، وهذا ما نلحظه من تنكير (ۆ)، حيث جاء

1() انظر: الكشاف: الزمخشري 138/5، والدر المصون: السمين الحلبي 211/9.

2() انظر: الكشاف: الزمخشري 138/5، وتفسير التحرير والتنوير: ابن عاشور 253/22.

3() انظر: معاني القرآن: الفراء 366/2، وتفسير البحر المحيط: أبو حيان 286/7.

4() انظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير 532/6.

5() صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، 1423ه – 2002م، صـــ 1640، كتاب: القدر، باب: لا مانع لما أعطى الله، حديث رقم: 6615.

6() يونس 107.

تنكيرها للدلالة على الإشاعة والإبهام، وأن ضروب النعم تتدرج في مطاويها[1]، فأية رحمة سماوية كانت أو أرضيه، فلا أحد من خلق الله يستطيع إمساكها أو إطلاقها[2].

- ٹ ڈ ڇ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ڈ ڈ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڃ ڃ الزمر: ٤٩

في الآية القرآنية حمل المؤنث على معنى المذكر، فالضمير في قوله (ڈ) يعود على (ڎ)؛ لأن معناها مذكر. قال أبو حيان (ت: 745هـ): "وذكر الضمير في (ڈ) وإن كان عائدًا على النعمة؛ لأن معناها مذكر، وهو الإنعام، أو المال على قول من شرح النعمة بالمال، أو المعنى: شيئًا من النعمة، أو لأنها تشتمل على مذكر ومؤنث فغلب المذكر"[3]، فقد ذكر الضمير في (ڈ) حملاً على المعنى، أما الضمير (ڦ) فأنث باعتبار اللفظ لكونه عائدًا على (ڎ)، وقد يكون عائدًا على الحالة أو الإتيان على معنى: بل إتيانه النعمة فتنة[4].

فالآية القرآنية بصدد الحديث عن حال الإنسان في الضراء والسراء، فهو في حالة الضراء يضرع إلى ربه، حتى إذا ما وسع عليه ربه وأنعم عليه بنعمه، طغى واستبد ناسيًا شكر الله على ما منَّ به عليه، وأخطأ في زعمه بأنه ما أتاه الله النعم إلا لكونه خصيصًا عند ربه، ولم يدرك أن هذه النعم ما هى إلا اختبار من الله ليبصر من يشكره على ما أتاه، ومن يكفر بأنعم الله[5]، فقد حمل المؤنث على معنى المذكر؛ أى: ذُكِّر الضميرُ في قوله: (ڈ) العائد على (ڎ) "ذهابًا به إلى المعنى؛ لأن قوله: (ڎ ٹ) شيئًا ما النعم وقسمًا منها"[6]، ومن ثم إظهار حال المشرك حال السراء والضراء من قلة شكر لله وما يفضي إلى الكفر، إذ إن "ضمير الغائب في (ڈ) عائد على (ڎ) على تأويل حكاية مقالتهم بأنها صادرة منهم في حال حضور ما بين أيديهم من أنواع النعم فهو صادر من عود الضمير إلى ذات مشاهدة"[7].

ثانيًا: حمل المذكر على معنى المؤنث ودلالاته.

حمل المذكر على معنى المؤنث أقل ورودًا في العربية من الضرب الأول وهو حمل المؤنث على معنى المذكر؛ لأنه رد الأصل إلى الفرع، فهو كما وصفه ابن جني (ت: 392هـ) "أذهب في التناكر والإغراب" [8]، ومع أنه أقل شيوعًا واستحسانًا إلا أنه ورد في

1() انظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه: محيي الدين الدرويش، دار اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق– بيروت، ودار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق – بيروت، ودار الإرشاد للشؤون الجامعية، جمص – سورية، الطبعة السابعة، 1420هـ – 1999م، 262/6، والكشاف: الزمخشري 138/5.

2() انظر: الكشاف: الزمخشري 138/5، والدر المصون: السمين الحلبي 211/9.

3() تفسير البحر المحيط: أبو حيان 415/7.

4() انظر: تفسير البحر المحيط: أبو حيان 415/7، والدر المصون: السمين الحلبي 433/9.

5() انظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير 105/7.

6() الكشاف: الزمخشري 311/5.

7() تفسير التحرير والتنوير: ابن عاشور 35/24.

8() الخصائص: ابن جني 415/2.

العربية شعرها ونثرها، فقد جاء في الحديث الشريف: " **من صام يوما ابتغاء وجه الله ختم الله له بها دخل الجنة**" [1]، حيث أنث الضمير في (بها)؛ لأن المراد العبادة أو الخصلة أو النية الصالحة [2]، وهذا الضرب من الحمل على المعنى ورد في غير موضع من آي القرآن الكريم.

- ٹ ڈ چ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ڈ ڈ ۀ ۀ ہ ہ ۂ چ الزمر: ١٧

في الآية القرآنية حمل المذكر على معنى المؤنث، فقد أنث قوله: (گ) وهو مصدر؛ لأنه قُصِد به الألهة [3] فأنث على معناها؛ لأن (گ) جاء مذكرا في قوله تعالى:**چٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹچ**[4]، فقد اختلف في قوله (گ) فقيل بأنه مصدر في الأصل لذلك يوحد ويذكر، وقيل بأنه جنس مفرد لذلك لزم الإفراد والتذكير، وقيل بأنه جمع، فقد قرأ [5] الحسن (الطواغيت) جمعًا، وهو مؤنث هنا فضمير التأنيث في (ں) عائد على (گ) [6].

وردت الآية القرآنية في سياق البشارة بالثواب لعباد الله المؤمنين الذين اجتنبوا عبادة الأوثان، إذ إن "الإيمان بالله يستلزم الكفر بالطاغوت"[7]، وأنابوا إلى عبادة الله الواحد القهار، فضلاً عن استماعهم لأحسن القول واتباع أحسنه، ألا وهو القرآن الكريم، فأولئك لهم البشرى في الدنيا والآخرة، فالملائكة تبشرهم لحظة احتضارهم؛ أي: حضور الموت بما أعده الرحمن لهم من نعيم **چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ پ پ پ پ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹچ** [8].

يرى الباحث أن حمل المذكر على معنى المؤنث أفاد دلالة التصغير والحط من شأن ما يعبد من دون الله بتأنيثه، ومن ثم مدح عباد الله المؤمنين والثناء عليهم لاجتنابهم إياها، وهو ما يتضح من العدول عن الإتيان بضميرهم بأن يقال: (وبشرهم) إلى إضافتهم إلى ضمير الله سبحانه في قوله (ہ ہ) [9].

- ٹ ڈ چ گ ں ں ڻ ڻ ڈ ڈ ۀ ۀ ہ ہ ۂ چ فصلت: ٣٥

1() مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، بتحرير الحافظين الجليلين: العراقي وابن حجر، منشورات دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، (د.ت)، كتاب الجنائز، باب تلقين الميت لا إله إلا الله، حديث رقم 3919، 324/2.

2() انظر: إعراب الحديث النبوي، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، تحقيق: عبد الإله نبهان، مطبوعات مجمع اللغة العربية – دمشق، الطبعة الثانية، 1407ه – 1986م، صـ213.

3() انظر: المسائل الشيرازيات: أبو على الفارسي، حققه: أ.د/ حسن بن محمود هنداوي، كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، 1424ه – 2004م، 205/1.

4() النساء: 60.

5() انظر: تفسير البحر المحيط: أبو حيان 404/7، والكشاف: الزمخشري 297/5.

6() انظر: الدر المصون: السمين الحلبي 419/9، وتفسير البحر المحيط: أبو حيان 404/7، وتفسير التحرير والتنوير: ابن عاشور 364/23.

7() انظر: تفسير البحر المحيط: أبو حيان 292/2.

8() الحديد: 12.

9() انظر: تفسير التحرير والتنوير: ابن عاشور 365/23.

في الآية القرآنية الكريمة حمل المذكر على معنى المؤنث في قوله **(ٹ)**، قرأ[1] ابن كثير وطلحة بن مصرف في رواية (وما يلاقيها) من الملاقاة، بينما قرأ الجمهور **(ٹ ٹ)** من التلقية؛ أى: التلقي، "وكأن هذه الخصلة الشريفة غائبة فما يصادفها ويلقيها الله إلا لمن كان صابرًا على الطاعات، صارفًا عن الشهوات، ذا حظ عظيم من خصال الخير"[2]، فقد أنث الضمير في **(ٹ)**، وقيل بأن الضمير عائد على الفعلة والخصلة، وهى الدفع الحسن؛ أى: دفع السيئة بالحسنة، وقيل بأن الضمير عائد على الجنة، وقيل بأن الضمير في **(ٹ)** عائد على الشهادة؛ أى: شهادة التوحيد (لا إله إلا الله)، أو الكلمة [3]، فقد أنث الضمير في **(ٹ)**؛ لأن المراد بذلك الكلمة، ولو أنه أراد الكلام لقال: (وما يلقاه)، وهو صواب عند الفراء (ت: 207هـ) [4].

وردت الآية القرآنية في سياق الحث والنصح والإرشاد، فقد أمر الله عباده المؤمنين بالصبر على الطاعات، وانصرافهم عن الشهوات المهلكات، كما أمرهم سبحانه بالصبر عند الغضب، والعفو عند المقدرة، ومقابلة السيئة بالحسنة؛ لأن من يفعل ذلك يعصمة الله من الشيطان الرجيم، وسرعان ما تزول العداوة والبغضاء، ويتحول العداء والكره إلى مودة ومحبة، ومن ثم يصير العدو وليًا حميمًا، فمن يكظم الغيظ حالة الغضب، ويحتمل المكروه في الشدائد، تكن له السعادة في الدنيا والآخرة[5].

يرى الباحث أن حمل المذكر على معنى المؤنث أفاد دلالة التنبيه والتأكيد على هذه الخصلة الجميلة الجليلة، وعظم جدواها؛ لأنه لا يلقاها من العباد إلا من وجبت له جنة الرحمن[6]، إذ إن هذه الخصلة الجليلة سجية فيهم متأصلة، وهو ما يتضح من مجيء الصلة **ﭽ ٹ ﭼ** بصيغة الماضي، فالصبر ومعاملة المسيء بالحسنى خلق سابق في هؤلاء العباد[7].

1() انظر: تفسير البحر المحيط: أبو حيان 477/7، ومختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، ابن خالويه، عنى بنشره: ج. برجستراسر، مكتبة المتنبي – القاهرة، (د.ت)، صـــ 134.

2() انظر: تفسير البحر المحيط: أبو حيان 477/7.

3() انظر: تفسير البحر المحيط: أبو حيان 477/7، والدر المصون: السمين الحلبي 528/9، **و** تفسير البغوي (معالم التنزيل)، للإمام محيي الدين أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة خميرية، وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع – الرياض، 1409ه، 175/7، وتفسير التحرير والتنوير: ابن عاشور 294/24.

4() انظر: معانى القرآن: الفراء 18/3.

5() انظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير 181/7، والكشاف: الزمخشري 383/5، وتفسير البغوي 175/7.

6() انظر: تفسير البغوي 175/7، وتفسير البحر المحيط: أبو حيان 477/7.

7() انظر: تفسير التحرير والتنوير: ابن عاشور 295/24.

النتائج:

لعل أبرز ما أسفر عنه البحث:

1- الدلالات الناجمة عن الحمل على المعنى لا يمكن حدها بحد، وإنما مدارها على الذوق الأدبي السليم لدى منشيء الكلام والمتلقي، إذ لا يدركها ويقف على مواطن الجمال فيها إلا ذوو الأذواق السليمة، والبصائر المنيرة.

2- أهمية الحمل على المعنى في تعليل بعض الظواهر اللغوية.

3- الحمل على المعنى لا يكون إلا فيما له لفظ ومعنى، ولا يكون إلا بعد تمام الكلام؛ لأن ما يحمل على اللفظ أجود.

4- ارتباط علة الحمل على المعنى بالمعنى المعجمي للمفردات اللغوية ارتباطًا وثيقًا، فالمعنى المعجمي هو الحاكم بالحمل على المعنى عند التأويل.

ثبت المصادر والمراجع

1- أساس البلاغة، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (ت: 538هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1419هـ – 1998م.

2- الأصول دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب (النحو – فقه اللغة – البلاغة)، د/ تمام حسان، عالم الكتب – القاهرة، 1420هـ – 2000م.

3- أصول النحو العربي، د/ محمد خير الحلواني، الناشر: الأطلسي – الرباط، 1983م.

4- إعراب الحديث النبوي، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت: 616هـ)، تحقيق: عبد الإله نبهان، مطبوعات مجمع اللغة العربية – دمشق، الطبعة الثانية، 1407هـ – 1986م.

5- إعراب القرآن الكريم وبيانه: محيي الدين الدرويش، دار اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق – بيروت، ودار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق – بيروت، ودار الإرشاد للشؤون الجامعية، جمص – سورية، الطبعة السابعة، 1420هـ – 1999م.

6- الاقتراح في أصول النحو: العلامة الإمام جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، ضبطه وعلق عليه: عبد الحكيم عطية، وراجعه وقدم له: علاء الدين عطية، دار البيروني، الطبعة الثانية، 1427هـ – 2006م.
7- أمالي ابن الشجري، هبة الله بن علي محمد بن حمزة الحسني العلوي (ت: 542هـ)، تحقيق ودراسة: د/ محمود محمد الطناحي، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، مطبعة المدني – المؤسسة السعودية بمصر، 1413هـ – 1992م.
8- أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي: ناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي (ت: 691هـ)، إعداد وتقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان. (د.ت).
9- البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث، لأبي البركات بن الأنباري (ت: 577هـ)، حققه وقدم له وعلق عليه: د/ رمضان عبد التواب، وزارة الثقافة بمصر (مركز تحقيق التراث)، مطبعة دار الكتب، 1970م.
10- التعليل النحوي في الدرس اللغوي، خالد بن سليمان بن مهنا الكندي، دار المسيرة – عمان، 2007م.
11- تفسير البحر المحيط: لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت: 745هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ/ علي محمد معوض، وشارك في تحقيقه: د/ زكريا عبد المجيد النوتي، ود/ أحمد النجولي، وقرظه: أ.د/ عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1413هـ – 1993م.
12- تفسير البغوي (معالم التنزيل)، للإمام محيي الدين أبي محمد الحسين ابن مسعود البغوي (ت: 516هـ)، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة خميرية، وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع – الرياض، 1409هـ.
13- تفسير التحرير والتنوير، لسماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور(ت: 1393هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس. 1984م.
14- تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: 310هـ)، تحقيق: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، 1422هـ – 2001م.

15- تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت: 774هـ)، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض – السعودية، الطبعة الثانية، 1420هـ – 1999م.
16- الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ضياء الدين نصر الله ابن أبي الكرم محمد ابن الأثير الجزري (ت: 637هـ)، تحقيق: د/ مصطفى جواد، ود/ سعيد جميل، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1956م.
17- الحمل على المعنى في العربية، د/ علي عبد الله حسين العنبكي، ديوان الوقف السني – مركز البحوث والدراسات الإسلامية، بغداد – العراق، 1433هـ – 2012م.
18- الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني (ت: 392هـ)، تحقيق: محمد على النجار، دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية، 1372هـ – 1952م.
19- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأبي العباس شهاب الدين أحمد ابن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت: 756هـ)، تحقيق: د. محمد أحمد الخراط، دار القلم – دمشق (د.ت).
20- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي (ت: 581هـ)، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب الحديثة، دار النصر للطباعة، القاهرة.
21- صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت: 256هـ)، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، 1423هـ – 2002م.
22- ظاهرة الحمل على المعنى في الدراسات النحوية، محمد أشرف مبروك إسماعيل المشد، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم – جامعة القاهرة، 1989م.
23- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، الحسن ابن رشيق القيرواني (ت: 456هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشروالتوزيع والطباعة، بيروت – لبنان، الطبعة الرابعة، 1972م.
24- فقه اللغة وأسرار العربية، للإمام أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (ت: 430هـ)، ضبطه وعلق حواشيه وقدم له ووضع فهارسه: د/ ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، الطبعة الثانية، 1420هـ – 2000م.
25- القياس في اللغة العربية، محمد الخضر حسين، عنيت بنشره المطبعة السلفية ومكتبتها لصاحبهما محب الدين الخطيب، القاهرة 1353هـ.

26- الكامل، للإمام أبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت: 285هـ)، حققه وعلق عليه وصنع فهارسه: د/ محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، 1418هـ – 1997م.
27- الكتاب (كتاب سيبويه)، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت: 180هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة، الطبعة الثالثة، 1408هـ – 1988م.
28- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للعلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت: 538هـ)، تحقيق وتعليق ودراسة: الشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ/ على محمد معوض، وشارك في تحقيقه: أ.د/ فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، مكتبة العبيكان، الرياض – السعودية، 1418هـ – 1998م.
29- لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت: 711هـ)، ترتيب وتحقيق: عبد الله على الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، كورنيش النيل – القاهرة.
30- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت: 807هـ)، بتحرير الحافظين الجليلين: العراقي وابن حجر، منشورات دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، (د.ت).
31- محيط المحيط (قاموس مطول للغة العربية)، للمعلم بطرس البستاني، مكتبة لبنان – بيروت، 1987م.
32- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لأبي الفتح عثمان ابن جني (ت: 392هـ)، تحقيق: على النجدي ناصف، ود/ عبد الفتاح إسماعيل شلبي، أعده للطبعة الثانية وقدم لها: محمد بشير الأدلبي.
33- مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، ابن خالويه (ت: 370هـ)، عنى بنشره: ج. برجستراسر، مكتبة المتنبي – القاهرة، (د.ت).
34- المسائل الشيرازيات: أبو على الفارسي (ت: 377هـ)، حققه: أ.د/ حسن ابن محمود هنداوي، كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، 1424هـ – 2004م.
35- المسند، للإمام أحمد بن محمد بن حنبل (ت: 241هـ)، شرحه وصنع فهارسه: أحمد محمد شاكر، دار الجديث – القاهرة، 1416هـ – 1995م.

36- معاني القرآن، لأبي زكريا يحي بن زياد الفراء (ت: 207هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، وأحمد يوسف نجاتي، عالم الكتب، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة، 1403هـ – 1983م.
37- المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، د/ جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت – لبنان، 1982م.
38- معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت: 395هـ)، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1399هـ – 1979م.
39- معجم المصطلحات النحوية والصرفية، د/ محمد سمير نجيب اللبدي، مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان، دار الفرقان للنشر والتوزيع، 1405هـ – 1985م.
40- مغني اللبيب غن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري (ت: 761هـ)، تحقيق وشرح: د/ عبد اللطيف محمد الخطيب، السلسلة التراثية 21، 1421هـ – 2000م.
41- المقتضب: لأبي العباس محمد بن يزيد بن المبرد (ت: 285هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، وزارة الأوقاف – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، الطبعة الثالثة، 1415هـ – 1994م.